مراحل التكوين العلمي عند الإمام السنوسي

أ.بوقنادل عبد اللطيف

كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية

جامعة وهران

* الحمد لله الذي رفع شأن العلم وشيد أركانه، وعظم أثره في النفوس وأعلى بنيانه، وخصص أهله والمنتسبين إليه بأكرم مزية، وجعلهم خلفاء الأنبياء على اختلاف العصور بين البرية، والصلاة والسلام على خير البشرية والآل والذرية وذوي الصحبة والتبعية، وبعد: فإن مدينة تلمسان تعتبر حاضرة من حواضر التاريخ الجزائري، إذ عرفت مرور الكثير من الأنظمة السياسية؛ والتي شكلت التركيبة الحضارية للمدينة وما جاورها على المستوى المعرفي والمدني والسياسي والاجتماعي....، ولعل أبرز هذه السمات الحضارية أنها تعتبر إحدى المراكز الحضارية الإنسانية التي ساهمت بأعمال مفكريها وساستها في البناء الحضاري الإسلامي في شقه المادي والمعنوي.

وإن من أبرز علماء مدينة تلمسان الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني[832-895هـ/1428-1490م](1)، والذي يعتبر حلقة من حلقات التسلسل المعرفي للمدينة، وإن بروز شخصية كالسنوسي قد ارتبط بمجموعة من العوامل المساعدة التي ساهمت في تفوقه على أقرانه بين عصره، وأن يكون له السبق في القيادة المعرفية والإصلاحية في زمانه؛ لتمتد قيادته معنويا ومعرفيا للوقت الحاضر، وإن هذه العوامل تنحصر في أمور شخصية ذاتية متعلقة بالسنوسي، وأخرى خارجة عن ذاته إلا أنها ترسم ملامح شخصيته لقوة تأثيرها في الفرد، والتي نجملها في الآتي:

أ –العوامل الذاتية:

انطوت شخصية الإمام السنوسي على جملة من العوامل الذاتية مكنته من البروز والتصدر للقيادة عندما أحسن استغلالها وتوظيفها على الوجه المشروع؛ ومنها على سبيل التمثيل:

1 – الإرادة القوية والرغبة في التعلم:

درس الشيخ السنوسي على جلة مشايخ تلمسان، وتلقى على أيديهم مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، وتعاطى علوم الوسائل الآلية كعلم النحو والصرف والأصول والمنطق....، وعلوم المقاصد الغائية؛ أي العلوم الشرعية التي تدرس لذاتها، فعكف على العلم والتحصيل منذ صباه عملا بالقاعدة التي مؤداها أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها(2)، ولقد ظهرت معالم الشخصية العلمية القوية للسنوسي منذ بدايته الأولى في تلقي العلم، ولذا ينقل لنا المترجمون له علامات نبوغه وتفوقه على أقرانه، فقد كان شيخه الحسن أبركان يشرك السنوسي –مع صغر عمره– في كثير من المسائل والإشكالات التي يعجز الحاضرون من أهل المجلس عن إبداء الرأي فيها(3)، ومن مظاهر تفوقه كذلك أنه ألف كتابا في الفرائض – وهو ابن تسع عشرة سنة –سماه" المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوفي"

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

حيث قال في آخر الشرح:" كنت جمعت هذا التقييد في زمن الصغر قاصدا بذلك نفع نفسي..."، وقد اطلع على شرحه شيخه الحسن، فنظر فيه وتأمله كله فأعجبه كثيرا، ثم أمر بإخفائه وعدم إظهاره خشية الحسد، وقال له: "لا تظهر هذا الشرح إلا بعد حين، وأثنى عليه ودعا له بقوله: جعلك الله من أئمة المتقين"(4).

2 – الشعور بالمسؤولية الدينية نحو الأمة:

يعتبر الدين باعثا مهما يدفع الإنسان نحو تحقيق ذاته على المستوى النفسي والانتماء الاجتماعي والدين الإسلامي؛ يبعث في الناس مقصد الخيرية:" **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** "[آل عمران:110].

ولا شك أن الباعث الذي حرك في نفس الإمام السنوسي المسؤولية عن نقد وإصلاح الأوضاع الاجتماعية بالطرق العلمية، وخاصة أنه رأى عند بعض الناس زهدا مزيفا وأباطيل تتنافى مع مقتضيات الشريعة السمحة، ولهذا نجده يركز في البداية على إصلاح العقائد لما فيها من تأثير على باقي شؤون الناس، فمن صلحت عقيدته صلحت أعماله.

إن الإمام السنوسي الذي رضع بلبان الفقه المالكي وتغذى بالعقيدة الأشعرية منهجا وسلوكا منذ نعومة أظفاره ونبغ فيهما (في عقد الأشعري وفقه مالك * وطريقة الجنيد السالك) كان من العلماء العارفين بواقع حالة أمته ومجتمعه وما آل إليه عصره، فجاء إنتاجه حسب الحاجة، ليقدم لذوي العقول والألباب وللعامة من الناس الدواء والغذاء المطلوب؛ والقصد من ذلك كله تطعيم قلوب المسلمين وعقولهم، وذلك بهدف إكساب المجتمع المسلم حصانة ومناعة ضد جراثيم الكفر والشرك، وشغفه بكتب التوحيد حداه إلى أن يضع مختصرات في علم التوحيد ويردفها بشروح حرص هو بنفسه على تبيان معانيها، وتحقيقا للاستفادة منها لجمهور الناس، وجل ما وصلنا إليه من مؤلفاته يمثل لنا تمسكه الواسع واطلاعه الدقيق على دقائق علم التوحيد، حيث أفنى عمره في تصفية العقيدة من الشوائب وتعزيزها، ردا على تأويلات الغالين وتحريفات المبطلين أعداء الملة الحنيفية.

يقول رحمه الله: "فلما من الله سبحانه وتعالى علي بوضع العقيدة المسماة بعقيدة التوحيد ووضع شرحها المسمى بعمدة أهل التوفيق والتسديد، استصعب العقيدة أناس، واستطال الشرح آخرون، ففكرت في وضع عقيدة يظهر أنها أخصر من الأولى وأقرب، وفيها من التنبيه على جزئيات من العقائد، ما لا يوجد في كثير من المطولات فضلا عن المختصرات"(5).

ولا شك أن أعلميته وسلامة منهجه الإصلاحي والتربوي دفعت الكثير من العلماء إلى الإشادة بمصنفات السنوسي في التوحيد خصوصا، فقد وصف الإمام المقري الحفيد عقائد السنوسي بالشهيرة(6)، وذكر مخلوف أن عقائده لا يعادلها شيء من العقائد(7)، وقال ابن عسكر: "وتآليفه تدل على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائده الخمس وشروحاتها من أفضل ما ألف في الإسلام"(8).

ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "وكانت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام، وقد اصطبغت هذه المؤلفات بالصبغة الصوفية، ورغم أن السنوسي كان يجمع بين علمي الظاهر والباطن، فإن شارحيه ومحشي ودارسي مؤلفاته قد مالوا تبعا لروح العصر إلى علوم الباطن، وقد أصبح كل من خالف هذا التيار يتهم بالتجسيم والاعتزال والإيمان بظواهر النصوص، ومن ثم غالبا يحكم عليه بالكفر والزندقة.....إلى أن قال: سيطرت إذن مؤلفات محمد السنوسي في التوحيد سيطرة تامة على الدارسين لهذا العلم طيلة العهد العثماني، وإن لم يكن ذلك مقصورا في الجزائر وحدها، بل تجاوزها إلى معظم الأقطار العربية الإسلامية، وأهم مؤلفاته المعروفة حاليا باسم أم البراهين"(9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي: "وأما مغربنا هذا مع الأندلس، فلم يتسع فيه علم الكلام إلى هذا الحد، وإن كانوا يدرسونه على هذه الطريقة ويقلدونه، ويدينون باتباع رأي الأشعري، ولم يؤلفوا فيه كتابا له بال،سوى الإمام السنوسي، فإنه ألف فيه على طريقة المشارقة عدة كتب شاعت وانتشرت في الشرق والغرب، وقررت في أكثر المعاهد الإسلامية كالأزهر"(10).

كما كان للإمام السنوسي باع ويد طولى في تفسير القرآن العظيم، فقد كانت له حلقة علمية لتفسير القرآن، يقول الملالي:" "ومنها تفسيره العجيب للقرآن العزيز، وقد رأيت منه بخطهﷺ ثلاثة كراريس ونصفا من القالب الكبير،...، وقد كان ﷺ عزم أن ينقطع عن الناس جملة، ويتفرغ إلى هذا التفسير وإلى الخلوة بمولاه تبارك وتعالى، فكان من أمر الله ما كان من عدم تمكنه، وسبحان الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"(11).

كما أن اهتمام السنوسي بالسنة المطهرة حداه إلى أن يضع شرحا على صحيح البخاري؛ وهو شرح عجيب، شرح منه جملة غير كافية ولم يكمله، وانتهى بالشرح إلى باب من استبرأ لدينه(12)، كما قام بشرح مشكلات البخاري وقعت في آخر كتاب البخاري(13).، ولما في فهم السنة على اختلاف رتبها القولية والفعلية والتقريرية من الفهم السليم لتعاليم الشريعة، فقد ألف كتابه " مكمل إكمال الإكمال"، وهو ذيل على كتاب إكمال الإكمال الذي هو شرح على صحيح مسلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خلف الأبي[827هـ/1423م] أحد أساتذة الثعالبي، حيث زاد فيه نكتا غريبة ودررا عجيبة(14).

والإمام السنوسي هو مالكي المذهب، وقد عرف كعادة أقرانه من العلماء المغاربة، بشدة تمسكه برأي الإمام مالك ومذهبه، فهو كثير الدفاع عنه والانتصار له، فمذ صغره عكف على تحصيل الفقه، فقد قرأ المدونة على شيخه ابن الجلاب وختمها عليه مرتين، واهتم بها في كبره، حيث وضع شرحا نفيسا على مدونة الإمام مالك الكبرى كما أشار إلى ذلك الملالي في المواهب القدوسية، كما كانت له إجابات على كثير من المسائل الفقهية، وأزال ما فيها من إشكالات، بكل ما أوتي من قوة الاستدلال وبراعة التنظير، ولا يترك في ذلك حجة نقلية أو عقلية إلا ويسوقها، وكان في ذلك كله شديد التمسك بالمذهب المالكي، وحريصا كل الحرص على تحرير ما ينص عليه، وما يستنبط منه من الأحكام الفقهية على ضوء أصوله العامة، بل إذا كان للمذهب في المسألة الواحدة روايتان أو أكثر عن الإمام مالك، أو أقوال لتلامذته فيها، فإنه يوضح ذلك ويحققه، ثم يقرر الذي يظهر له أنه الراجح من ذلك، ويتبعه بالاستدلال والاحتجاج، وقد دلنا على ذلك ما ذكره الملالي في مواضع شتى ومواطن متفرقة من كتابه المواهب القدوسية، خصوصا لما كان ينقل بخط الشيخ السنوسي بعض المسائل الفقهية والعقدية التي أجاب عنها كاملة برسْم بنانه وحسن بيانه(15).

كما أن توسع الإمام السنوسي في مسائل المنطق والرياضيات و الحساب والفرائض والطب والفلك قد ساعده كثيرا على توسيع قدراته العقلية والمعرفية، وقوته الاستدلالية والحجاجية، والتي ضمنها مؤلفاته، حيث وظف تفوقه البالغ في علم الميزان–المنطق– واستثمره في علم الكلام، حتى أتت تصانيفه دقيقة توحي بعظم علم صاحبها ودقة كتاباته.

3 – حسن التعامل مع أفراد المجتمع:

ليس يخفى أن العالم العامل إنما هو من ورثة النبي وراثة تربية وتعليم" **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** "[آل عمران: 79]، وحسن التعامل مع الآخرين إنما هو بداية للدعوة الناجحة، ومن كان مثل الشيخ أبي عبد الله السنوسي في علمه وفضله وصلاحه فلا بد أن يكثر مريدوه وتلاميذه، فالمنهل العذب كثير الزحام دائما، فلقد أقبل عليه الناس إقبالا عظيما واحتفلوا به بعد أن تصدر للتدريس مدة طويلة قضاها في رحاب المساجد، وكان كلامه كلام هداية لكل مريد(16)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان ينهى المؤدبين عن ضرب الصبيان(17)، وقد كان السنوسي من العلماء الذين زهدوا في الرئاسة وزهدوا في الاجتماع مع أهلها، فقد كان أورع أهل زمانه، وقد أكسبه عفافه عما في أيدي الناس حكاما ومحكومين قبولا عندهم، عل الرغم من أنه كان يسعى في حوائج أفراد المجتمع ويكاتب المسؤولين عنهم بسبب الحياء الذي جبل عليه، فبهذه الأخلاق كسب قلوب الناس، وأحبه تلاميذه ومريدوه، فسلموا له بالإمامة(18).

4 – قوة الحجاج والبيان:

إن صفاء السريرة والإيمان بالفكرة التي يتبناه الفرد تولد فيه قوة البيان والاستدلال في إقناع الآخر وجلبه لفكرته، ولم يرد السنوسي أن يجرّد العقائد من سيوف البراهين، ويفصلها عن الدليل ولو بالإجمال، ليناسب مستوى العوام من الأنام، يقول رحمه الله: "العلم ثمرة الفكر، والفكر نتيجة العقل، فمن لم يرزق العقل الحصيف، حرم الفكر الباحث،ومن يرزق فكرا باحثا، حرم العلم النافع بالمعقولات، ومن لم يرزق علما بآيات الله تعالى، حرم العلم بأحكام الله، ومن حرم العلم بأحكام الله تعالى لا يتصور منه وجود التقوى في قلبه، وكيف يتقي، إلا تقليدا لآبائه وأهل زمانه، من غير تحقيق برهان أو حجة أو سلطان" (19)، وديدن السنوسي رحمه الله الاقتصار في كل شيء على الضروري بطريق الإيجاز، دون الإكثار، والاقتصار على المهم، دون الزيادة التي تعطل عن المقاصد الشرعية الأخروية وتحيّر العقل.

وأمّا المراد بالدليل، فتوصيفه نقلا عن الشيخ السنوسي حيث قال: "إن المراد بالدليل الذي تجب معرفته على جميع المكلفين، هو الدليل الجملي، وهو الذي يحصل في الجملة للمكلف العلم والطمأنينة بعقائد الإيمان، بحيث لا يقول قلبه فيها: لا أدري؟ سمعت الناس يقولون شيئا فقلته"، ومثال ذلك من أم البراهين مثلا قوله:"وأمّا برهان وجوب الوحدانية له تعالى، فلأنه لو لم يكن واحدا لزم أن لا يوجد شيء من العالم، للزوم عجزه حينئذ"(20).

فسلطان الحجة والبرهان لا بد أن يكون قائما عند السنوسي، بخلاف الغزالي حجة الإسلام الذي يقول:"إن أول واجب يكلف به كل إنسان عاقل بالغ، هو تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها بمجرد التقليد، دون نظر أو برهان، ودون اضطراب نفسي"، وقد نبه إلى ذلك في كتاب قواعد العقائد من كتابه النفيس إحياء علوم الدين، وذكر كذلك أنه ما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العلوم مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض"(21).

بيد أن السنوسي يذهب إلى خلاف ذلك، إذ يرى أن سلطان البرهان ينبغي أن يكون قائما لتوضيح الحق لجميع فئات المسلمين، فهو يقف موقفا معاديا من مسألة التقليد في العقيدة، فإن مجرد فهم معانيها هو المعتبر، لا مجرد حفظ حروفها (22)، والاقتصار على النطق بكلمتها من غير تحقيق لمعناها ولا معرفة في قلب لمدلولها، لا يكفي في حصول حقيقة الإيمان (23)، يقول السنوسي: "إن الإيمان أصله المعارف العقلية والأدلة البرهانية، ولا يكون عن تقليد، وإنما يكون عن نظر سديد" (24)، فالمطلوب حسب السنوسي في عقائد الإيمان هو المعرفة، وهي الجزم المطابق عن دليل، ولا تكفي فيه حرفة التقليد، وهذا الصنيع والطريق أشاد به ابن خلدون بقوله:" لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها"(25)، وهذا الذي ذهب إليه جمهور أهل العلم، كالشيخ أبي الحسن الأشعري، والقاضي الباقلاني، وإمام الحرمين، والإمام مالك بن أنس على ما حكاه عنه ابن القصار(26).

فالإمام السنوسي يعد بحق من كبار المنظرين لمسائل علم الكلام وأحد أهم من غربله، حتى اشتهر بلقب صاحب العقائد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب – العوامل الخارجية:

حيث كان لبعض العوامل الخارجية تأثير مباشر أو غير مباشر في تكوين شخصية السنوسي، نذكر منها إجمالا:

1 – النسب العلمي:

ينتسب الإمام السنوسي إلى عائلة علم وصلاح، فنسبه شريف:"الحسني" قد أثبته غير واحد، منهم تلميذه ابن الحاج لما قصد نظم صغرى الصغرى، فقال(27):

وبعد، فاعلم أني أريد * نظم عقيدة، بها التوحيد

ملم رويته على الشيخ السني * أي عبد الله نجل الحسني

ابن علي وحفيد المصطفى * شهر بالسنوسي نجل يوسف

ووالده الأستاذ المحقق المقرئ أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي قد حاز شرف أبوة الولادة وأبوة الإفادة، فقد قرأ عليه القرآن في صغره، وقد ذكر الشيخ محمد بن يحباش التازي في قصيدة مدح فيها كتاب السنوسي مكمل إكمال الإكمال، فقال(28):

فإن شئت أن تحظى بسر لبابه * فبادر لتأليف الرضي المتثبت

إمام الورى بحر العلوم بعصره * وقد خصه المولى بأزكى سجية

محمد نجل الشيخ ذي المجد يوسف * سليل الكرام الصالحين الأئمة

لسبط رسول الله يا صاح ينتمي * به حزما قد ينال من خير رتبة

له السبق في التصنيف والفهم والحجى * ومعرفة الإتقان من كل وجهة

2 – قوة المعلم:

كل طالب علم نابه ماجد إنما هو ثمرة جهد ناصح لشيخ أو شيوخ مخلصين في تعليمهم وتربيتهم، فأثر الشيخ في تلاميذه غير خاف على كل ذي مُسْكة وعقل، والإمام السنوسي قد أخذ العلم عن جملة من الأساتذة اللذين صقلوا موهبته وأثروا فيه إيجابا في شتى العلوم التي درسها، فمن المشايخ الذين درس عليهم في تلمسان: الإمام القلصادي، ي قول القاضي ابن الأزرق: هو الشيخ الفقيه الأستاذ العالم المتفنن المصنف الراوية الرحال الحاج الصالح، قرأ عليه الشيخ السنوسي جملة من الحساب والفرائض وأجازه في جميع ما يرويه عنه (29)، وقرأ على الشيخ المقرئ أبو الحجاج يوسف بن أحمد الشريف وأجازه في القراءات السبع، ومن سائر مروياته إجازة مطلقة عامة(30)، كما أجازه أبو القاسم الكنابشي في جميع مروياته، وكتب ذلك بخط يده(31)، وقرأ على الشيخ الحباك كثيرا من علم الاسطرلاب، وأخذ الفقه على الشيخ الجلاب الذي ختم عليه المدونة مرتين(32)، ويعتبر الشيخ أحمد البرنسي الشهير بزروق من الشيوخ الذين أخذ عنهم السنوسي التصوف لما وفد إلى تلمسان سنة 876هـ فقال:" فأخذ عنا علما جما وأخذنا عن أدبا وسرا".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما المشايخ الذين درس عليهم خارج تلمسان، فأشهرهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي ، ولم يذكر المؤرخون شيئا عن انتقال السنوسي إلى مجلس الثعالبي بمدينة الجزائر، والذي يذكرونه عن الثعالبي أنه كان تلميذا للحفيد ابن مرزوق التلمساني(ت 842هـ/1438م)، وقد اتصل به عندما قدم تونس(33).

بيد أن أقدم مصدر في ترجمة الشيخ السنوسي، صرّح بأن السنوسي التقى بشيخه الثعالبي بالجزائر وأخذ عنه هو وأخوه علي التالوتي في رحلتَهم الذي شملت الجزائر ووهران، قال الملالي: "ولما قرأ عليه شيخنا السنوسي في الجزائر ارتحل منها، وجاء هو وأخوه سيدي علي التالوتي رحمهما الله ورضي عنهما إلى وهران" ، وقد قرأ عليه الشيخ السنوسي صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، قال الملالي بعد أن ذكر قراءة الشيخ السنوسي على شيخه الثعالبي: "هكذا حدثني من أثق به، ورأيت إجازة من خط سيدي عبد الرحمن أجاز بها سيدي محمد السنوسي وأخاه لأمه شيخنا سيدي علي التالوتي، قال: أجزتهما رواية فهرستنا، وجميع ما تضمنته من مروياتي، وجميع ما تجوز ما تجوز روايته" (34)، ولما دخل السنوسي إلى وهران جلس عند الشيخ إبراهيم التازي نحوا من خمسة وعشرين يوما.

والحاصل أن مثل هذه المشيخة الجليلة قد رسخت فقه السنوسي وأهلته لمكانة عالية بين علماء جيله، فأبدع في التأليف وبرع في التصنيف، وصار من أساطين الدين، ومن أهل التمكين الراسخين الذين تخلقوا بعلوم الظاهر، وتحققوا بعلوم الباطن، حتى حظي عند الجميع بالثقة وشهدوا له بالإمامة.

3 – العامل السياسي والاجتماعي:

عاش الشيخ السنوسي رحمه الله في مدينة تلمسان في القرن التاسع الهجري، وإذ ذاك كانت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية ، وقد أزمعت وأجمعت كلمة المؤرخين على أن هذه المرحلة الزمنية شهدت ظروفا سياسية تبدو كلها صعبة، وهو ما أسموه بدور الضعف السياسي لحكم بني زيان، والتي امتد من سنة791هـ إلى سقوط الدولة سنة 957هـ(35).

ولعل ذلك من عجيب المفارقات، ومن غرائب مجريات الأحداث أن تدهور الوضع السياسي لدولة بني زيان لم يكن معرقلا لازدهار العلوم بتلمسان، "فكم نقمة في طيها نعمة"، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله عن الإنتاج العلمي للقرن التاسع الهجري في عهد الزيانيين، حيث قال: "يعتبر إنتاج القرن التاسع من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين أو العلماء، والمؤلفات، وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والثاني عشر، وجدت أن عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون المتبقية متفرقة...، وكثير من إنتاج القرن التاسع ظل موضع عناية علماء القرون اللاحقة"(36).

إن الإمام السنوسي أحد العلماء الرانيين الذين كتب لهم القبول، وحظيت مصنفاته بالثناء والمدح، وقد رثاه كثيرون أشهرهم الفقيه أبو عبد الرحمن الحوضي في قصيدته التي رثى بها شيخه السنوسي:

ما للمنازل أظلمت أرجاؤهـا * والأرض رجت حين خاب رجاؤها

قد كان بحرا للمعارف زاخـرا * فانزاح عنها حين بث غطـاؤها

ودعا إلى التوحيد دعوة مخلص * وإلى الشريعة، فاستنار ضيـاؤها

من للعلوم على اختلاف فنونها * يبدي لها نكتا يروض سناؤهـا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من للقلوب إذا صدت وإذا قست * تأتي مواعظه فيذهب داؤها

ما ذاك إلا من خصائصك التي * أعطاكها رب له إعطاؤها

وممن أجاد منهم في الثناء عليه، والإشادة بفضله وعلمه، الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور المستغانمي، حيث قال في مدحه:

لقد منّ ذو الفضل العظيم بفضلهِ * علينا بنجم آخر الدهر لائحا

فأبدى لنا التوحيد عذبا مخلصا * وبالغ في التبيين للخلق ناصحا

وذلك السنوسي، عمّ فضله غايتي * وحاز فخارا في البرية واضحا

فخار تلمسان عليك بكتْبه * فلقد فاقت التبر المخلص طافحا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الهوامش:

(**1**) **المقدمة: عبد الرحمن بن خلدون، ص598، دار الجيل، بيروت،د ت ط.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(2) المواهب القدوسية في المناقب السنوسية: الملالي، مخطوط، الورقة 18، البستان: ص74–87.

(3) المواهب القدوسية: الورقة 142، البستان: ص245، الروضة المقصودة: سليمان الحوات، ج1ص241.

(4) شرح العقيدة الوسطى: السنوسي، ص5، المطبعة اليمنية، مصر–1324هـ.

له:"العقيدة الكبرى:"عقيدة أهل التوحيد المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة بفضل الله تعالى أنف كل مبتدع عنيد"، وشرحها:" عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد".

والعقيدة الوسطى:" كتاب توحيد أهل العرفان ومعرفة الله ورسوله بالبرهان"، وشرحها:" شرح العقيدة الوسطى"، والعقيدة الصغرى:" متن أم البراهين/ السنوسية"، وشرحها:" شرح العقيدة الصغرى"، وله كذلك:" صغرى الصغرى"، وشرحها:" شرح صغرى الصغرى".

(5) نفح الطيب: المقري، ج5ص419، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة القاهرة–1949م/1367هـ.

(6) شجرة النور الزكية: محمد مخلوف، ص266، المطبعة السلفية، مصر، ط1–1349هـ.

(7) دوحة الناشر: ابن عسكر، ص120–121.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، ج1ص92–93، دار الغرب الإسلامي، ط1–1998.

(9) آثار الإمام محمد البشير الإبرهيمي: جمع وتقديم: د.أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5 ص315، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1–1997م.

(10) المواهب القدوسية: الورقة 146، البستان: ص247.

(11) المواهب القدوسية: الورقة 144، البستان: ص288–289.

(12) المواهب القدوسية: الورقة 145، البستان: ص246، الأعلام: ج7ص154.

(13) كتاب مكمل إكمال الإكمال مطبوع بهامش إكمال إكمال المعلم في القاهرة سنة 1328هـ، كما طبع بمطبعة طبرية بالرياض.

(14) المواهب القدوسية: الورقة 145، البستان: ص246.

(15) البستان: ص239.

(16) البستان: ص242.

(17) المواهب القدوسية: الورقة 98، البستان: ص240–241.

(18) شرح العقيدة الوسطى: ص74–75.

(19) شرح أم البراهين: السنوسي، ص 59، المطبعة اليمنية، مصر– 1324هـ، متن أم البراهين: السنوسي، ص 6، ضمن مجموع أهمات المتون، دار الفكر، د ت ط.

(20) إحياء علوم الدين: الغزالي، ج1ص125–126، دار مصر للطباعة والنشر، ط1998م.

(21) شرح العقيدة الوسطى: السنوسي، ص19.

(22) المصدر نفسه: ص166.

(23) المصدر نفسه: ص72.

(24) المقدمة: ابن خلدون، ص517.

(25) شرح أم البراهين: السنوسي، ص48.

(26) البستان: ص18.

(27) المواهب القدوسية: الورقة 144.

(28) البستان: ص141.

(29) نفسه: ص304.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(30) المواهب القدوسية: الورقة 19، وكذا نيل الابتهاج: التنبكتي، ص 226، مطبعة ابن شقرون، مصر 1351هـ، البستان: ص152.

(31) المواهب القدوسية: الورقة 12، البستان: ص236، تعريف الخلف برجال السلف: الحفناوي، ص 123، دار الجيل، بيروت، د ت ط.

(32) نيل الابتهاج: ص173، البستان: ص206.

(33) المواهب القدوسية: الورقة20، وقارن ب: تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجيلالي، ج2ص273، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7–1994م/1415هـ.

(34) المغرب العربي تاريخه وثقافته: رابح بونار، ص299، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط3–2000م.

(35) تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، ج1ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com